رَحْمَة سيدنا محمد ﷺ للعالَم

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله ﷺ)
من الصفحة ٢٧٨ حتى الصفحة ٢٩٧

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات
وَلَدِهِ
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه
الأبحاث القيمة
وتحميل جميع
كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة
وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين
سراج الدين

رحمته ﷺ للعالَم

قال الله تعالى : ﴿ وما أَرسلناكَ إلاَّ رحمةً للعالمين ﴾ .

فهو ﷺ رسول الرحمة الذي أرسله الله تعالى رحمةً لجميع العالمين : رحمة للمؤمنين ، ورحمة للكافرين ، ورحمة للمنافقين ، ورحمة لجميع بني

---

(١) كذا في (الشفاء وشروحه) .

الإنسان : الرجال والنساء والصبيان ، ورحمة للطير والحيوان ؛ فهو رحمةٌ عامة لجميع خلق الله تعالى .

أما رحمته للمؤمنين : فبهدايتهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، وباهتمامه بما يُصلح لهم أمرَ دينهم ودنياهم ، وتحذيره إياهم مما يفسد عليهم أمر الدنيا والآخرة رأفةً ورحمةً بهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ بالمُؤمنينَ رؤُوفٌ رحيم ﴾ ـ والرأفة تقتضي إبعاد كل شر وفساد وضرر ، والرحمة تقتضي جلب كل خير وصلاح ونفع .

ولقد أقامه الله تعالى في رأفته ورحمته للمؤمنين : أنه أولى بهم من أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ النَّبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم . . ﴾ الآية ـ يعني أنه ﷺ أرأفُ بهم وأعطفُ عليهم وأنفع لهم من أنفسهم ، ولذلك كان أَحقَّ بهم من كل شيءٍ من أمور الدين والدنيا ، وحكمُه أنفذ عليهم من حكم أنفسهم ، فعليهم أن يبذلوها دونه ، ويجعلوها فداءه ﷺ .

ولذا كان ﷺ يُعلن هذه الأولوية في خُطَبه ومجتمعاته كما تقدَّم في بحث كلامه وخطبه ﷺ .

وكما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « ما من مؤمنٍ إلَّا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ النبيُّ أولى بالمؤمنين من أَنفسهم ﴾ فأَيُّما مؤمنٍ تركَ مالاً فلترثْه عصبتُه ما كانوا ، وإن تركَ دَيْناً أَو ضَياعاً أو عيالاً فليأتني ؛ فأنا مولاه » .

وفي رواية أحمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أَنا

أولى بكل مؤمن من نفسه ، فأيُّما رجل مات وترك دَيناً فإليَّ ، ومَن ترك مالاً فهو لورثته » .

وأما رحمته للمنافقين : فبالأمان من القتل والسَّبي ، نظراً لظاهر إسلامِهم في الدُّنيا .

وأما رحمتُه للكفار : فبرفع عذاب الاستئصال عنهم في الدنيا ، وذلك أن الأمم السابقة ، كانت إذا أرسل الله تعالى فيهم رسولاً فكذَّبوه وكفروا به جاءهم العذاب فعمَّهم ، كما قصَّ الله تعالى من أخبار قوم : نوحٍ ، وعادٍ ، وثمود ، وقوم لوط ـ وغيرهم ، كيف أحاط بهم العذاب وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون .

وأما كفار هذه الأمة المحمدية : فقد رفع الله عنهم العذاب العام الذي يستأصلهم ، كما استأصل وعمَّ الكفارَ من الأمم السابقة ، وذلك تكرِمة لهذا الرسول الكريم ﷺ الذي أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وما أَرسلناكَ إلاَّ رحمةً للعالمين ﴾ قال : مَنْ آمَن تمَّتْ له الرحمة في الدُّنيا والآخرة ، ومَنْ لم يؤمن عوفي مما كان يصيبُ الأمم من عاجل الدنيا من العذاب ـ أي : العامِّ ـ من المسخ والخسف والقذف . اهـ[1] .

وأما أخذُ بعض كفار هذه الأمة بالعذاب : فهو واقع لا محالة .

وهذا المعنى ـ وهو أنَّ الله تعالى لا يعذِّبُ كفار هذه الأمة المحمدية

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي في (الدلائل) ، وابن مردويه وغيرهم ، كما في (تفسير) ابن كثير وغيره .

عذاباً عاماً مستأصلاً كالكفَّار قبلهم ـ هذا المعنى هو الذي جرى عليه وفهمه محققو العلماء من قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذِّبهم وأنتَ فيهم وما كان الله معذبَهم وهم يستغفرون ﴾ أي : وما كان الله ليعذِّبَهم وأنتَ مرسَلٌ فيهم ، وهذا العذاب المنفيُّ هو العذابُ العامُّ الطامّ .

أما العذابُ الخاصّ ببعضٍ منهم ، أو المرسَل على أطرافٍ منهم ، فهو واقع كما دلَّ على ذلك قولُه تعالى في الآية التالية لتلك الآية : ﴿ وما لهم أن لا يعذبَهم الله وهمْ يصدُّون عن المسجدِ الحرام . . ﴾ الآية ـ وهذا طريقُ الجمع بين الآيتين ، كما نبَّه عليه المحققون .

فهو ﷺ رسول الرحمة ، وهو نبي الرحمة ، كما في (صحيح) مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمِّي لنا نفسه أسماءً فقال : « أنا محمد ، وأحمدُ ، والمقفِّي ـ أي : آخر الأنبياء وخاتمهم ـ والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : أدع على المشركين .

فقال : « إني لمْ أُبعَثْ لعّاناً ، وإنما بُعِثْتُ رحمة » .

بل هو ﷺ الرحمةُ المهداة التي أهداها الله تعالى للعالم :

كما روى الطبراني والبيهقي في (الدلائل) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنما أنا رحمةٌ مُهداة » .

وعند الطبراني : « بُعثتُ رحمةً مُهداة »[1] .

---

(١) انظر شرح المواهب للزرقاني .

رحمته ﷺ بالأهل والعيال

روى مسلم في (صحيحه) عن عمرو بن سعيد عن أنس رضي الله عنه قال : ما رأيتُ أحداً كان أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيمُ مسترضعاً له في عوالي المدينة ، فكان ينطلقُ ونحن معه ، فيدخل البيتَ وإنه ليُدَّخَنُ ـ أي : يعلو منه الدخان ـ وكان ظِئْره قَيْناً ، فيأخُذُه ـ أي : فيأخذ النبيُّ ﷺ ابنَه إبراهيم المسترضع ـ فيقبِّلُه ثم يرجع .

قال عمرو : فلمّا توفي إبراهيم قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ إبراهيمَ ابني ، وإنه مات في الثَّدْي ، ـ أي : في سنِّ رضاع الثَّدْي ـ وإنَّ له لَظئرين ـ أي : مرضعتين ـ تُكمِّلان رضاعَه في الجنَّة » أي : يتمَّان له رضاعَ سنتين ، فإنه توفي وله ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً . اهـ من شرح النووي .

وفسَّر القيْن في (النهاية) بأنه : الحدَّاد والصائغ .

ومن رحمتِه بأهله ﷺ : أنه كان يعاونهم في الأمور البيتية ، كما تقدَّم أن الأسود قال سألتُ عائشة رضي الله عنها : ما كان النبي ﷺ يصنع في أهِله ؟ .

فقالتْ : (كان في مهنة أهلِه ، فإذا حضرتِ الصَّلاةُ قام إلى الصلاة) .

فما كان ﷺ من جبابرة الرجال ، بل كثيراً ما كان يخدم نفسَه بنفسِه ﷺ :

ففي (مسند) أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالتْ : (كان النبيُّ ﷺ يَخيطُ ثوبَه ، ويخصِف نعلَه ، ويعمل ما يعمل الرجالُ في بيوتهم) .

رحمته ﷺ بالصبيان

روى الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال : « إني لأدخلُ في الصلاة أُريد إطالتَها ، فأسمع بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وَجْد أمه » .

ومن رحمته ﷺ بالصبيان : أنه كان يمسح رؤوسَهم ويُقبلهم :

كما جاء في (الصحيحين) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : قبَّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني عليٍّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميميُّ .

فقال الأقرع : إنَّ لي عشرةً ما قبَّلتُ منهم أحداً قط ! .

فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « مَنْ لا يَرْحم لا يُرحَم » .

وفي (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : إنكم تقبِّلون الصبيان وما نقبِّلُهم ! .

فقال رسول الله ﷺ : « أوَ أملكُ لك أن نزع الله الرحمةَ من قلبك ؟ ! » .

يعني : أنَّ من كان في قلبه رحمةٌ للصبيان حملته على أن يقبِّلَهم ، ومن نُزعت الرحمةُ من قلبه أمسك عن تقبيلِهم .

وروى الشيخان والترمذي عن البراء رضي الله عنه قال : رأيتُ

رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه يقول ﷺ : « اللهمَّ إني أُحبُّه فأحبَّه » .

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : سئل النبي ﷺ : أيُّ أهلِ بيتك أحبّ إليك ؟ قال ﷺ : « الحسن والحسين » .

وكان يقول لفاطمة عليها السلام : « ادعي لي ابنيَّ » ويضمُّهما إليه رضي الله عنهما .

ومن رحمته بالصبيان وحبِّه لإدخال السرور عليهم : أنه ﷺ كان إذا أُتي بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان :

كما روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان إذا أُتي بباكورة الثمرة ـ أي : أولها ـ وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال : « اللهمَّ كما أريتَنا أوله فأَرِنا آخرَه » ثم يعطيه مَن يكون عنده من الصبيان .

رواه ابن السني عن أبي هريرة ، وقال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني في (الكبير ، والصغير) ورجال الصغير رجال الصحيح . اهـ .

ومن رحمته : دمعُ عينيه ﷺ لفراق ولده إبراهيم رضي الله عنه :

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه ، وهو يجود بنفسِه ـ أي : في حالة الاحتضار ـ فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرِفان ـ تدمعان ـ .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله !

فقال : « يا ابن عوف إنها رحمةٌ » ثم أتبعها بأخرى فقال : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » رواه البخاري ، وروى بعضه مسلم .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ رُفِعَ إليه ابن ابنتِه وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله ﷺ .

فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ! .

قال : « هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحمُ الله من عباده الرحماءَ » متفق عليه .

ومن رحمته ﷺ : بكاؤه لثقل مرض بعض أصحابه :

كما ورد في (الصحيحين) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ عاد سعد بن عبَادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فبكى رسول الله ﷺ ، فلما رأى القومُ بكاءَ رسول الله ﷺ بَكَوْا ، فقال : « ألا تسمعون ؟ إنَّ الله لا يعذِّب بدمعِ العين ، ولا بحزنِ القلب ، ولكن يعذِّبُ بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانِه .

ومن رحمته ﷺ : بكاؤه لموت صاحب من أصحابه : ومن ذلك ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو ﷺ يبكي .

وفي رواية ابن سعد في (الطبقات) عن عائشة رضي الله عنها :

(قبَّل عثمانَ بن مظعون وهو ميت ، قالت : فرأيتُ دموع النبي ﷺ تسيل على خدِّ عثمان) .

وعند ابن الجوزي في كتاب (الوفاء) عن عائشة رضي الله عنها قالت : لمَّا مات عثمان بن مظعون كفَّ النبيُّ ﷺ الثوبَ عن وجهه ، وقبَّل بين عينيه ، ثمَّ بكى طويلاً ، فلمّا رُفع على السرير قال : « طوبى لك يا عثمان ، لم تلبَسْكَ الدُّنيا ولم تلبَسها » . كذا في (جمع الوسائل) .

وأما رحمته ﷺ بالمساكين والضعفاء : فقد تقدَّم ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : (إنْ كانت الأمة ـ أي : المملوكة ـ لتأخُذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت) .

وفي رواية أحمد : (فتنطلق به في حاجتها) ـ أي : ليقضي لها حاجتها من شراء طعام أو متاع ونحو ذلك .

وروى النسائي عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان لا يأنف ـ أي : لا يتكبَّر ـ أن يمشي مع الأرملة والمسكين ، فيقضي لهما الحاجة) .

وعن سهل بن حُنيف رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ، ويعودُ مرضاهم ، ويشهدُ جنائزَهم) . رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم .

رحمته ﷺ باليتيم

قال الله تعالى : ﴿ فأمّا اليتيمَ فلا تقهرْ ﴾ .

كان ﷺ يُحسنُ إلى اليتامى ، ويبرُّهم ، ويوصي بكفالتهم والإحسانِ إليهم ، وبينَّ الفضائل المرتَّبةَ على ذلك .

روى البخاري وغيره عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أنا وكافِلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هكذا » وأشار بالسبَّابة والوسطى وفرَّج بينهما .

وروى ابنُ ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « خيرُ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسَنُ إليه ، وشرُّ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه » .

وذكر ﷺ فضلَ المرأة التي ماتَ زوجُها ، فحبستْ نفسَها على تربيةِ أولادها ولم تتزوَّج :

ففي (سنن) أبي داود عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أنا وامرأةٌ سفْعاء الخدَّين[1] كهاتين يوم القيامة ـ الوسطى والسَّبَّابة ـ امرأةٌ آمَتْ من زوجِها ذاتُ منصب وجمال ، حبسَتْ نفسَها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا » .

---

(١) وهي التي تغير لونها إلى الكمودة والسواد من طول الأيمة ، يريد بذلك أنها حبست نفسها على أولادها ولم تتزوج حتى تحتاج إلى الزينة والتصنع للزوج . اهـ كما في (ترغيب) المنذري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسولِ الله ﷺ قسوةَ قلبه .

فقال له ﷺ : « امسحْ رأسَ اليتيم ، وأَطْعم المسكين » رواه أحمد . قال الحافظ المنذري : ورجالُه رجال الصحيح .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الساعي على الأرملة والمسكين ـ أي : الذي يسعى فيما ينفع الأرملة والمسكين ـ كالمجاهد في سبيل الله ـ وأحسبَه قال : وكالقائم لا يَفتُر ، وكالصائم لا يُفطر » رواه الشيخان .

ورواه ابن ماجه بلفظ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار » .

رحمته ﷺ بالحيوان

كان ﷺ يوصي بالرحمة بالحيوان ، وينهي صاحبَه أن يُجيعَه أو يُدْئِبه ويتعبَه ، بإدامةِ الحمل عليه ، أو إثقاله ، أو يحسَّه بما فيه نوع من التعذيب له .

روى أبو داود وابن خزيمة في (صحيحه) عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال : مَرَّ رسولُ الله ﷺ ببعيرٍ قد لحِقَ ظهرُه ببطنه ـ أي : ضَمُر من شدَّة الجوع ـ فقال ﷺ : « اتقوا اللهَ في هذه البهائم ، فاركبوها صالحةً ، وكلوها صالحَةً » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : أزدفَني رسول الله ﷺ خلفَه ذات يومٍ ، فدخل حائطاً ـ أي :

بستاناً ـ لرجلٍ من الأنصار ، فإذا فيه جمل فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ ـ الجمل ـ وذرَفَتْ عيناه .

فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذِفْراه ـ موضع الأذنين من مؤخر الرأس ـ فسكت ـ الجمل ـ .

فقال ﷺ : « مَنْ رَبُّ ـ أي : صاحب ـ هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ » .

فجاء فتى من الأنصار فقال له ﷺ : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمةِ التي ملَّكك الله إياها ؟ ! فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعُه وتدئبُه » أي : تُتعبه من كثرة العمل عليه واستعماله فوق طاقتِه .

فكان ﷺ ينهى عن إجاعة الحيوان وإتعابه ، إمّا بكثرة العمل عليه ، أو تحميله فوق طاقتِه .

كما كان ﷺ ينهى عن إرهاق الحيوان بإيقافِه وإطالة الجلوس عليه مِن غير ضرورةٍ إلى ذلك :

ففي (مسند) الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على قومٍ وهم وقوفٌ على دوابّ لهم ورواحل .

فقال لهم : « اركبوها سالمة[1] ودَعُوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسيَ

---

(١) قال العلامة المناوي في معنى سالمة : أي:خالصة عن الكد والاتعاب ، قال : وقال الهيثمي : أحد أسانيد أحمد : رجاله رجال الصحيح غير سهل بن معاذ وثقه ابن حبان وفيه ضعف . اهـ . قال : وقال الذهبي : فيه سهل وفيه لين اهـ ، قلت : ولكنه جاء من طرق متعددة فيقوى ما هنالك .

لأحاديثِكم في الطرق والأسواق ، فربَّ مركوبةٍ خيرٌ من راكبِها ، وأكثرُ ذكراً لله منه » .

وعزاه في (الجامع الصغير) إلى (المسند) وأبي يعلى والطبراني و (مستدرك) الحاكم رامزاً لصحته .

فنهى رسولُ الله ﷺ عن الجلوس فوق ظهور الدوابِّ وهي واقفةٌ للتحدُّث عليها .

قال العلامة المناوي : والمنهيُّ عنه الوقوفُ الطويل لغير حاجة ، فيجوزُ حال القتال ، والوقوف بعرفة ونحو ذلك ، قال : وفيه إشعار بطلب الذكر للراكب ، وقد ذكر أهل الحقيقة أنه يخففُ الثقل عن الدابة . اهـ .

وعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إن الله يوصيكم بهذه البهائم العُجْم ـ مرتين أو ثلاثاً ـ فإذا سرتمْ عليها فأنزلوها منازلَها » الحديث .

وفي (سنن) النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن قتل الضِّفدِع وقال : « نَقِيقُها تسبيح »[1] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت امرأةٌ النارَ في هرَّةٍ ربطتْها ، فلم تُطعِمْها ولم تدعْهَا تأكلُ من خشاش

---

(١) وكذلك أورده الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده . . ﴾ الآية .

الأرض » رواه البخاري وغيره[1] .

كما وأنه ﷺ نهى عن تسليط الحيوانات بعضها على بعض بالأذى ، وتهييجِها بالإفساد :

ففي (سنن) أبي داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم .

رحمته ﷺ بالطيور

كان رسولُ الله ﷺ يحذِّر من أن يَفجعَ الإنسانُ الطيورَ بأولادها ، وذلك من باب الرحمة :

ففي (سنن) أبي داود عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ فانطلق لحاجتِه ، فرأينا حُمَّرة[2] معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحُمَّرة فجعلت تُعرش[3] .

فجاء النبي ﷺ فقال : « مَنْ فجع هذه بولديها ؟ رُدُّوا ولديها إليها » .

ورأى قرية نحل ـ أي : مجتمع نحل ـ قد حرقناها ، فقال : « مَن حرق هذه ؟ » .

---

(١) كذا في (ترغيب) المنذري قال : وخشاش الأرض : مثلثة الخاء المعجمة وبشينين معجمتين ، هو : حشرات الأرض والعصافير ونحوها .

(٢) طائر صغير كالعصفور .

(٣) قال في (النهاية) مفسراً لهذه الجملة : التعريش أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها . اهـ .

قلنا : نحن .

قال : « إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا ربُّ النار » .

كما وأنه ﷺ حذَّر من قتل الطير عبثاً ، لا لمنفعة أكل ونحوه :

روى النسائي وابن حبان في (صحيحه) عن الشَّريد رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قتل عُصفوراً عجَّ [1] إلى الله يوم القيامة ، يقول : يا ربِّ إنَّ فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلْني منفعةً » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما مِن إنسانٍ يقتلُ عصفوراً فما فوقها بغيرِ حقِّها إلا يسأله الله عنها يومَ القيامة » .

قيل : يا رسول الله وما حقُّها ؟

قال : « حقُّها أن تذبحَها فتأكلَها ولا تقطعَ رأسَها فترميَ به » [2] .

كما وأنه ﷺ أوصى بالرِّفق في ذبحِ الحيوان والإحسان إليه في ذلك :

روى الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رجلاً أضجع شاةً وهو يحدُّ شفرته .

فقال له النبيُّ ﷺ : « أَتريدُ أن تُميتَها موتتين ؟ هلَّا حددتَ شفرتَك قبلَ أن تضجعَها ! » [3] .

---

(١) أي : شكا إلى الله تعالى بصوت عال .

(٢) قال في (الترغيب) : رواه النسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) قال الحافظ المنذري : رواه الطبراني في (الكبير ، والأوسط) واحاكم ـ واللفظ له ـ وقال : صحيح على شرط البخاري .

كما وأنه ﷺ حذَّر من اتخاذ الحيوان وكل ذي روح غَرَضاً ـ أي : هَدَفاً للرمي :

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مرَّ بفتيانٍ من قريش ، قد نصبوا طيراً أو دجاجة يترامَونها ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقوا .

فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله ﷺ لعن من اتَّخذ شيئاً فيه الروح غَرَضاً .

التدبُّر والتأمل

في قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾

إن من تدبر قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وتفكر في معاني هذه الآية الكريمة يتَّضح له جليّاً أن جميع ما جاءت به الرسالة المحمدية ، وجميعَ ما اشتملت عليه ، من أوامرَ ومناهيَ ، وعبادات ومعاملات ، وآداب وأخلاق ، وحقوق وواجبات ، كل ذلك مبنيٌ على أساس الرحمة للعباد .

بل وما جاءت به الرسالة المحمدية من العقوبات الشرعية وهي القصاص والحدود والتعزير ! .

كل ذلك إنما هو رحمة للعالمين ، ورحمة للبلاد والعباد ، لأن في ذلك إيقافاً للمفسد عن التوغل في الفساد ، ومنعاً لفساده من أن يستشْري لغيره ، فإن عضو جسم الإنسان إذا فسد فمن الرحمة أن يُبترَ لئلا يستشري الفساد ويتعداه لغيره ، وكذلك فإن المجتمع كلَّه يعتبر من هذه

الناحية كالجسم الواحد في نظر الشرع ، وتفصيل ذلك ليس موضعَه هنا .

ذلك لأن الرسالة المحمدية جاءت بالرحمة وللرحمة ، ولذلك وردت الآية على طريق الحصر ، ليَعلمَ العاقل أن جميع مضامين هذه الرسالة ومشتملاتها ، كل أولئك إنما هو رحمة للعباد في الدنيا والآخرة ، وفيها سعادتهم وصلاحهم ، وفلاحهم ونجاحهم في الدنيا والآخرة ، وأنه لم تأتِ الرسالة المحمدية لسعادة الأخرة وصلاح الآخرة ونجاح الآخرة فحسب ، بل جاءت لسعادة وصلاح وفلاح الدنيا والآخرة معاً .

ولذلك نبه النبي ﷺ العقلاء والفُطناء والحكماء إلى بيان موقفه من ناحية الاسعاد والاصلاح مع العالم ، فذكر مثالاً حسياً ليتضّح الموقف ويبرز في صورة محسوسة .

ففي (مسند) الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه ، والآخر عند رأسه .

فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضربْ مَثَل هذا ومثل أمّته .

فقال : إن مَثَل هذا ومثل أمته كمثل قوم سَفْر[1] انتهوا إلى رأس مفازة[2] فلم يكن معهم من الزّاد ما يقطعون به المفازة ، ولا ما يرجعون

(١) سفر : جمع سافر ، كركب جمع راكب ، وهم القوم المسافرون .
(٢) وصلوا وسط الصحراء الدوية ، وسميت مفازة تفاؤلا بالفوز والنجاة لمن اجتازها .

به ، فبيناهم كذلك إذْ أتاهم رجلٌ في حُلّة حِبَرة[1] ، فقال : أرأيتم إنْ وردتُّ بكم رياضاً مُعْشِبة[2] ، وحياضاً رُواءً أتتبعوني ؟ قالوا : نعم فانطلق بهم فأوردهم رياضاً معشبة ، وحياضاً رُواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم أُلْفِكم[3] على تلك الحال ، فجعلتم لي أنْ أُوردَكم رياضاً معشبة ، وحياضاً رُواء أن تتبعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن بين أيديكم رياضاً هي أعشبُ من هذه ، فاتبعوني ، قال : فقامت طائفة قالت : صدق والله ، لنتَّبعنَّه ، وقال طائفة : قد رضينا بهذا ، نُقيم عليه)[4] .

فلقد جاء رسول الله ﷺ برسالة عامة ، كافلة وكافية ووافية بجميع مصالح البشر ، وبما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

فالمؤمنون الصادقون أخذوا بجميع مبادىء الرسالة المحمدية المنوطة بأمور الدنيا وبأمور الآخرة ، فنالوا من الله سعادة الدنيا والآخرة .

وغيرُهم أخذوا بمبادىء الرسالة المحمدية التي فيها مصالح الدنيا فحسب ، فنالوا حظهم من سعادة الدنيا ورفاهتها ، وانتظام أمورها ، ولكنهم لم يأخذوا بما فيه صلاح آخرتهم وسعادتهم في الآخرة فما لهم في الآخرة من خلاق .

---

(١) نوع حسن من الثياب ، والمعنى : أن الرجل الذي خرج عليهم هو من أهل الفضل والكمال ، تلوح عليه آيات الصدق والنصح .

(٢) حدائق وبساتين .

(٣) أي : ألم أجدكم .

(٤) كذا في (مجمع الزوائد) ٨ : ٢٦ وقال : رواه أحمد والطبراني والبزار وإسناده حسن ، وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره آخر سورة التوبة .

هذا ، وإن قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ يشمل عالم الإنس وعالم الجن وعالم الملائكة وما يتبع ذلك من العوالم .

أما رحمته ﷺ للإنس : فهو ما تقدم من شمول رحمته ﷺ لجميع طبقات الإنس .

وأما رحمته للجن : فكذلك الأمر ، هو في الجن كما في الإنس ، باعتبار أنه ﷺ رسول إلى الجن أيضاً رسالة تكليف ، وقد بلَّغهم وأمرهم ونهاهم ، وبيَّن لهم ـ في عدة مناسبات .

كما أنهم توافدوا عليه واستمعوا إليه ﷺ ـ وتفصيل ذلك مبيَّن في كتابنا (**الإيمان بالملائكة ـ والبحث حول عالم الجن**) فارجع إليه تجد الأدلة على ذلك .

وأما شمول رحمته ﷺ لعالم الملائكة : فهو ما ذهب إليه جماهير العلماء والعرفاء ، وذلك :

١ ـ إما باعتبار أنه ﷺ مرسل إليهم برسالة فيها تكليف لهم بأوامر ونواهي ، كما رجحه كثير من محققي المحدثين والفقهاء[1] .

٢ ـ وإما باعتبار أنه ﷺ مرسَل إليهم رسالة تشريف ، فقد شملهم عموم رحمته ، ونالوا بواسطته علوماً جمة كثيرة ، وأسراراً عظيمة كثيرة ، مما أودع الله تعالى في كتابه الذي أنزل عليه ﷺ والايحاءات النبوية التي أوحاها إليه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره .

---

(١) انظر (شرح الزرقاني على المواهب) ، و (تفسير) الآلوسي حول الآية ـ وغيرهما .

في صُحُفٍ مكرّمة . مرفوعة مطهرة . بأيدي سَفَرة . كِرَامٍ بررة ﴾ .

والمراد هنا بالسفرة : الملائكةُ عليهم السلام ، فهم يتلون ما أذن الله تعالى لهم به من تلاوة هذا القرآن الكريم ، المكتوب في صحفهم ، ويزدادون بذلك علماً ومعرفة بجلال الله تعالى وعظمته وحكمته .

وفي (الصحيحين) عن عائشة رضي الله عنها : قالت : قال رسول الله ﷺ : « الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به ، مع السفرة الكرام البرَرَة ، والذي يقرأ القرآن ، وهو عليه شاق له أجران » .

هذا ، وقد أجملنا الكلام على هذه الآية الكريمة في هذا الموطن ، لأننا سوف نتكلم عليها إن شاء الله بعدُ في الحلقة الثانية من هذا الكتاب ، وهي الحلقة التي يُبحث فيها عن مواقف سيدنا محمد ﷺ مع العالم ، ومن جملة تلك المواقف أنه ﷺ جاء رحمة للعالمين ، فهناك التفصيل إن شاء الله تعالى .